إطلالة المؤرخ الشيخ سالم بن حمود السيابي على الشؤون العمانية في حوارات من الشاطئ البعيد

الحلقة الثامنة

دعابات على سرير الوالد في كاندي

حمود بن سالم السيابي

حاولت أن أضفي بعض الفكاهة القريبة من المشهد الهندي لأخفف عن الوالد بعض التوتر فقلت له قبل سنتين وبعد إنهيار سقف غرفتكم في بيت سمائل صعدت بصحبة أحد الإخوة لننتشل بعض الاوراق المتناثرة ففوجئت ببطاقة دعوة مؤرخة في ٢ أكتوبر عام ١٩٥٨ميلادية الموافق ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٧٨هجرية ومرسلة إليكم من الهند ومن صديقكم حيدر درويش يدعوكم لحضور عقد قران ولده محسن، فاستغربت وجود مثل هذه الثقافة في مسقط الخمسينيات حيث يتعازم الناس على دعوات القران بين دول وقارات فلو قدر لك وقبلت الدعوة كان عليك أن تستقل المركب وتمضي في البحر من مسقط الى بمبي لأيام حتى تصل، و أن تكتري سيارة تنقلك من المطار إلى منطقة تسمى (مزغام) في شارع بابولا تينك .

وقد حدد حيدر درويش في البطاقة ساعة وصولك الى مكان الملكة وانت بعدك لا تزال في مسقط، وإشترط في دعوته تواجدك في (نورباغ) في الساعة الخامسة من بعد ظهر الخميس وياويل المدعويين من عمان وانت من بينهم من التأخير. ضحك الوالد وقال اتذكر هذه البطاقة وقد إستلمتها في مسقط من احد أقاربه وحين فتحتها إستغربت انه يدعوني للملكة في بمبي وكأن المسافة بين البيت الذي أسكنه والبيت الذي ستقام فيها الملكة كالمسافة بين الباب الصغير ومغب متناسيا أن بيننا بحور وأهوال ومفاجآت وضرورات الإستئذان من ولي الأمر بالسفر خارج البلد فضلا عن تكاليف السفر. قلت له وماذا اجبت قريبه بعد أن عرفت أن الملكة في الهند ؟ قال ماذا أقول لأصحاب هذه العقول (هذا ما متبشر) إذا كان أنا الآن وفي ظل تقارب المسافات بفضل الطرق والسيارات بين الولايات لا أحبذ أن يعرض الناس أرواحهم للخطر في الانتقال من ولاية الى ولاية لحضور ملكة او وعزاء وأعتبرها نوعا من خفة العقل فما باله والامر بين دول لا بين حارات أو ولايات.

وأضاف الوالد إنه من المستغرب في هذا الزمان أن يترك الإنسان عمله ومدرسته فيندفع في سباق إجتماعي مجنون وتزلف ونفاق فيقطع المسافات ليؤدي ما إعتبره واجبا فيعرض نفسه للهلاك وقد راحت أنفس كثيرة وأريقت دماء على الدروب، وبدلا من أن يصلوا لأداء واجب العزاء أصبح الناس يسارعون لتقديم العزاء فيهم، وكذلك الكثير من مناسبات الزواج حولها هذا التزلف المذموم إلى مصائب وفواجع فعلى الناس أن تثوب إلى رشدها ولا تعرض نفسها للأخطار والمهالك فهذ الحضور للمناسبات في المناطق البعيدة لم يكن من عاداتنا، وكانت المناسبات تقام في البلدة الواحدة ويؤمها أبناء تلك البلدة .وفيما الحديث يتواصل خفيفا وفكاهيا ويستدر ذكريات عمانية سمعنا خطوات بشدور تتقدمه حشرجة صوته من كثرة (الروثمان) التي احرقت رئتيه .قال الوالد (إسمع نوبة الشقي بشدور شايل المستشفى في حلقه من كثرة نحيبه) و كثيرا ما نصحناه للكف عن هذه المفاسد التي ستلقي به في مهاوي الردى ولم يرتدع. قلت للوالد إن بشدور لم يعش عهد الامام الخليلي الذي شم سجائر نصيب البنبوتي من بيته في سحرا فامر رجاله بزجره ورفق عليه زيارة سمائل .

دخل بشدور وجيب قميصه العلوي على صدره منتفخ بعلبة جائره فقال له الوالد «بشدور لعلك انت تسوي العملية بدلي عساك تصح من هذه النحبة» فقال بشدور الشيخ سالم هذه النحبة من المكيف قال له «النحبة من المكيف ولا من هذا الغشش»؟ وكان يشير الى علبة السجائر في جيبه. فقال لا إنه من مكيف سنجم لان يضرب مباشرة على رأسي. «فقال له الوالد وانت غنمة ما تقدر تتصرف وتغير مكان نومك ولكنها عاذرة بس، انت لو تتوقف عن هذا الغشش ستستريح من النحبة التي تخضك. قال بشدوروهو مصر في دفاعه عن السجائر وانها ليست سبب كحته «أنا الشيخ ما أسوي كما يسوي بقية المدخنين فأنا لا ابدأ الصباح

من المستغرب في هذا الزمان أن يترك الإنسان عمله ومدرسته فيندفع في سباق إجتماعي مجنون وتزلف ونفاق

بسيجارة بل بكأس ماء بارد اغسل به صدري كله وأصلي وأنا نظيف .قال له الوالد «شوف انته يعني لو بدأت يومك بسجائر تكون غير نظيف؟ أما إذا بدأت بماء بارد ثم السجائر تكون نظيف ما أذنبت؟ فقال بشدور أقصد خففت الضرر عن صدري.

ضيفنا بشدور بما تبقى من حلوى رافقتنا إلى الهند قبل أن يدخل الوالد فترة الصوم والكف عن الأكل إستعدادا للعملية الجراحية في الصباح. صببت القهوة للوالد ثم لبشدور والحديث يتشعب بينهما عن مسقط وحكايات المحكمة والقضاة والقضايا وبشدور يتدفق بذكرياته، ذلك ان المحامي كما يقول عبد الحسين عبدالرضا في مسلسل درب الزلق رأسماله لسانه فالمحامي الكويتي في ذلك المسلسل هو من نفس عينات المحامين العمانيين في ذلك الزمان فهم كما يصفهم العمانيون (منيزعية) أي ينازع الخصم امام القاضي نيابة عن صاحب القضية.

كانت الساعة العاشرة من صيف ليل مايو في بمبي التي إتشحت بعباءة المساء وخيم الهدوء على بريتش كاندي إلا من وقع خطوات الممرضات بين غرف المستشفى وازيز عربات الدواء على السيراميك الكالح اللون، وكانت غرفة الوالد هي الاستثناء حيث الحديث يتواصل بين الوعظ والحكمة والطرفة لحرق الوقت الذي يجري متثاقلا، تدخل الممرضة الغرفة وصرامة الأمر في شفتيها تستعجلنا الرحيل وترك الوالد وحده حيث دخلنا معها في حوار سقفه الرفض لأوامرها والحجج لدينا كثيرة أهمها أن الوالد كبير السن وأنه لا يجيد اللغة الهندية ولا الانجليزية وأن وجودنا بقربه فيه تشجيع له للإستعداد نفسيا للعملية، فدحضت حججنا بأن المستشفى سيوفر ممرضة ستقيم معه وهي تجيد العربية وان تعليمات المستشفى الصارمة تقضي برفض البقاء مع المريض وهي من تقاليد المستشفى التي لا يمكن التفريط فيها، وبين انجليزية مكسرة على شفتي وهندية تتشاقى للوصول للحد الأدنى من التفاهم كانت خيبة أملي ورضوخي لسياسة المستشفى، حيث إستسلمت وبشدور في النهاية وتركنا الوالد وحيدا تحرسه عناية الله وبرفقة ممرضة تجيد العربية على أن نكون عنده مع اول خيوط النهار .